برنامج [الكتاب الناطق] - الحلقة 20- المشاهدة ج 1

الاحد 28/2/2016م - الموافق 19 جمادي الأول 1437هـ

✤ في هذه الحلقة سأتناول عنوان جديد (المشاهدة) وهو عنوان من العناوين الّتي ترتبط بشؤون إمام زماننا صلوات الله عليه، والغرض من تناول هذا العنوان هو لأجل أن أعرض بين أيديكم ماذا قالت مُؤسّستنا الدّينيّة، وحوزاتنا العلميّة في هذا العنوان.. وماذا قال أهل البيت عليهم السّلام.

(وهل يتطابق قول علمائنا مع قول أهل البيت أم يختلف عنه؟)

✤ أبدأ من كتاب (كمال الدّين وتمام النّعمة) للشّيخ الصّدوق.. والرّسالة الأخيرة الّتي وصلت مِن إمام زماننا عليه السّلام يُعلن فيها انتهاء الغَيبة الصّغرى، وابتداء الغَيبة الكبرى -كما يُسمّيها الشّيعة-.

✤ أقْدَم مصدر ذكرَ التّوقيع لإمام زماننا عليه السّلام هو كتاب (كمال الدّين وتمام النّعمة) فهو المصدر الأصلي، وهناك مصادر ثانويّة نقلت عن المصدر الأصلي مثل كتاب (الغَيبة) للشّيخ الطّوسي، وكتاب (الاحتجاج) للطّبرسي.. وبقيّة المصادر أشار إليها كتاب (معجم أحاديث الإمام المهدي: ج6).

✤ نص التّوقيع الأخير من كتاب كمال الدّين للشّيخ الصدوق:

(حدّثنا أبو محمّد الحسن بن أحمد المكتّب قال: كنت بمدينة السّلام في السّنة الّتي توفي فيها الشّيخ علي بن محمّد السّمري ـ قدّس الله روحه ـ فحضرته قبل وفاته بأيّام، فأخرج إلى النّاس توقيعاً نُسخته:

«بسم الله الرّحمن الرّحيم، يا عليَّ بن محمّد السّمري: أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنّك ميّتٌ ما بينك وبين ستّة أيّام، فاجمع أمرك، ولا توص إلى أحدٍ يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغَيبة الثّانية، فلا ظهور إلّا بعد إذن الله عزَّ وجل، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جورا، وسيأتي شيعتي مَن يدّعي المشاهدة، ألا فمَن ادّعى المشاهدة قبل خروج السّفياني والصّيحة فهو كاذبٌ مفترٍ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم»)

✤ الشّيخ الصّدوق، والشّيخ الطّوسي، والشّيخ الطّبرسي أدرجوا التّوقيع في كتبهم ولم يُعلّقوا عليه.

✤ من أقدم المصادر الّتي ورد فيها تعليق بخصوص عنوان (المشاهدة) في التّوقيع الأخير هو كتاب (كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج4) لعلي بن عيسى الأربلّي، والّذي نقل الحديث عن كتاب (إعلام الورى) وإعلام الورى نقل عن المصادر المُتقدّمة. يقول في التعليق: (والّذي أراه أنّه إنْ كان يراه أحد، فقد عُلِم منهم أنّهم لا يدّعون رؤيته ومشاهدته، وأن الّذي يدّعيها كذّابٌ فلا مُناقضة إذاً و الله أعلم) وموطن الشّاهد من تعليقه: أنّه فهم (المشاهدة) بمعنى الرّؤية.

✤ مصدر آخر نقل هذا التّوقيع هو كتاب بحار الأنوار.. المجلد 51 نقله المجلسي عن غيبة الطّوسي، ولم يُعلّق شيئاً، أمّا في الجزء 52 من البحار نقله المجلسي عن كتاب الاحتجاج وعلّق عليه.. وهذا التّعليق الّذي علّق به المجلسي على عنوان (المشاهدة) هو الّذي بقي مُستمرّاً معنا إلى هذا اليوم.

✤ قد يقول قائل: لماذا هذا التّتبع في كلّ هذه الكتب، ولماذا هذا الذّكر للأرقام..؟!

والجواب: أنّ التّتبع في كلّ هذه الكتب فلأجل أن نعرف كيف تتعامل مؤسّستنا الدّينيّة، وكيف يتعامل علماؤنا ومراجعنا وكيف يفهمون أحاديث الأئمة وأقوال إمام زمانهم صلوات الله عليه.

✤ يقول الشّيخ المجلسي في التّعليق: (بيان: لعلّه محمولٌ على مَن يدّعي المشاهدة مع النّيابة وإيصال الأخبار مِن جانبه عليه السّلام إلى الشّيعة، على مثال السّفراء، لئلا ينافي الأخبار الّتي مضتْ وستأتي فيمن رآه والله يعلم). فالشّيخ المجلسي هنا يذهب إلى أنّ المراد من المشاهدة هو الرّؤية مع ادّعاء النّيابة، ولكنّه ذكر هذا التّعليق على سبيل التّوقع والاحتمال فقط، بأن يكون هذا هو المعنى المراد من عنوان (المشاهدة)، ولهذا عبّر وقال: (لعلّه).يعني أنّه غير متأكّد من هذا التّوجيه.

✤ هذا التّعليق للشّيخ المجلسي الّذي أورده على سبيل الاحتمال صار نصّاً علميّاً وعقائديّاً ودينيّاً في الثّقافة الشّيعية..! مع أنّه مذكور على سبيل الاحتمال، وهو مُخالف أيضاً للسّياق اللّغوي الواضح، ومُخالف للفهم الدّقيق والصّحيح لهذا التّوقيع بحسب منهج (لحن القول .. وهو الرّجوع إلى حديث أهل البيت لفهم حديث أهل البيت)، وفيه ركّة وضعف شديد، وهذا ما سيتم بيانه في الحلقة القادمة.

✤ مَن يراجع كتاب البحار على طوله، سيجد الكثير مِن التّعليقات والبيانات الّتي كتبها الشّيخ المجلسي، فيها ركّة وضعف وهزال. مثال على ذلك.. ما يعلّق به الشّيخ المجلسي في الجزء 26 من بحار الأنوار، على هذا المقطع مِن حديث المعرفة بالنّورانيّة لسيّد الأوصياء (أنا الّذي حملتُ نوحاً في السّفينة بأمر ربّي، وأنا الّذي أخرجتُ يونس مِن بطن الحوت بإذن ربّي، وأنا الّذي جاوزتُ بموسى بن عمران البحر بأمر ربّي، وأنا الّذي أخرجتُ إبراهيم مِن النّار بإذن ربّي...). يعلّق الشّيخ المجلسي ويقول:
(بيان: قوله: أنا الّذي حملتُ نوحاً، أقول: لو صحَّ صدور الخبر عنه عليه السّلام لاحتُمِل أن يكون المرادُ به وبأمثاله أنّ الأنبياء عليهم السّلام بالاستشفاع بنا والتّوسل بأنوارنا رُفعتْ عنهم المكاره والفتن كما دلّت عليه الأخبار الصّحيحة). أيضاً تعليقه هنا على نحو الاحتمال، ولا يوجد أي ترابط بين تعليقه وبين كلام أمير المؤمنين عليه السّلام.

✤ حينما طُبع بحار الأنوار في إيران طلبت الجهة الّتي أشرفت على طباعته من بعض العلماء التّعليق على بعض المطالب الّتي هي بحاجة إلى شرح، وكان من الّذين علّقوا السّيد محمد حسين الطّباطبائي.. وكان من المُقرّر أن يكتب تعليقات على كُلّ الكتاب، ولكنّه كتب إلى الجزء السّابع وأوقفوه!! وثارت ثائرة العلماء في النّجف وفي قم عليه، لأنّه أشار في تعليقاته على البحار إلى ركّة وضعف وهزال بيانات الشّيخ المجلسي.
- (وقفة عند ما جاء في كتاب (السّيرة والمسيرة في حقائق ووثائق: ج1) للسّيد محمّد باقر الصّدر، لبيان الحدّ الّذي وصلتْ إليه ثائرة العلماء على السّيد محمّد حسين الطّباطبائي بعد تعليقاته على بحار الأنوار وأنّ السّيد عبد الهادي الشّيرازي قد كفّره.
- سواء كُنّا نتّفق مع منهجيّة السّيد الطّباطبائي العرفانيّة أو لا نتّفق، فإنّ الحقيقة تُقال، وهي: أنّ تعليقات الطّباطبائي على بيانات المجلسي في البحار، تعليقات واضحة في صحّتها ومُحكمّة وبيّنة ومختصرة، فإنّه أشكل على مواطن كثيرة تظهر فيها الرّكة والضّعف في تعبير الشّيخ المجلسي في شرحه للأحاديث والأخبار، ولكنّ حسد العلماء، ورفض بعض العلماء لكشف الحقائق نتيجة الصّنميّة جعلهم يثورون على السّيد الطّباطبائي.

✤ مثال على صنميّة الشّيعة.. التقيتُ في إحدى سفراتي للعراق في الفترة المُتأخرة بأشخاص أولادهم وبناتهم جاوزوا الأربعين والخمسين وهم لا يعرفون القراءة والكتابة والسّبب: لأنّ السّيد عبد الهادي الشّيرازي حرّم على أبناء الشّيعة وبناتهم الدّخول إلى المدارس!

✤ مثال على المواطن الّتي أشكل فيها السّيد الطّباطبائي على بيانات المجلسي: ماجاء في (البحار: ج7) حين أورد المجلسي رواية من تفسير القمّي في قوله تعالى: (ربّ أرني كيف تُحيي الموتى)
علّق على الرّواية وقال: (بيان: يظهر من هذا الخبر وغيره من الأخبار، أنّ إبراهيم عليه السّلام أراد بهذا السّؤال أن يُظهر للنّاس جواب شبهة تمسّك بها الملاحدة المُنكرون للمعاد حيث قالوا: لو أكل إنسانٌ إنساناً وصار غذاءً له جزءاً من بدنه...)
فالسّيد الطّباطبائي يُعلّق: (الّذي يظهر من سياق الآية أن إبراهيم عليه السّلام إنّما سأله تعالى أن يريه كيفية إحياء الموتى لا أصل الإحياء كما يدل عليه قوله: {رب أرني كيف تحيى الموتى} وبينَ الأمرين فرق، والّذي ذكره المؤلف قدس سره وفاقاً لكثير مِن المفسرين إنّما يتم على التّقدير الثّاني وليس بمراد في الآية)

✤ كان السّيد الطّباطبائي يقول دائماً حين يعترضون على تعليقاته، وحين منعوه مِن الاستمرار في كتابة تعليقاته في البحار، يقول: (كلامُ الأئمة أولى أن يُحافظ عليه من كلام باقر المجلسي) وتلك حقيقة. فالحقُّ والهدى والصّواب في كلامهم عليهم السّلام والخلل والخطأ والاشتباه في كلام العلماء.

✤ وقفة عند كتاب (الفوائد الرّجالية: ج3) للسّيد بحر العلوم، وهو يتحدّث عن شيخنا المفيد، ويُشير إلى الرّسائل الّتي وصلت إلى الشّيخ المفيد من إمام زماننا عليه السّلام، فيطرح إشكالاً في تعليقهِ على الشّخص الّذي سلّم الشّيخ المفيد توقيع الإمام، وهل ينطبق عليه عنوان المُشاهدة أم لا.. فيقول: (وقد يشكل أمر هذا التّوقيع بوقوعه في الغَيبة الكبرى مع جهالة حال المبلّغ، ودعواه المشاهدة المنفيّة بعد الغَيبة الكبرى، ويمكن دفعه باحتمال حصول العلم بمقتضى القرائن، واشتمال التّوقيع على الملاحم والإخبار عن الغَيب الّذي لا يطلّع عليه إلّا الله وأولياؤه بإظهاره لهم، وإنَّ المُشاهدة المنفيّة: أن يُشاهد الإمام ويُعلم أنّه الحجّة - عليه السّلام - حال مشاهدته له، ولم يُعلم من المبلّغ ادّعاؤه لذلك).
والّذي يُفهم من كلام السّيد بحر العلوم أنّه يفهم مِن معنى (المشاهدة) الرّؤية.

✤ حادثة ينقلها المحدّث النّوري في كتابه (جنّة المأوى في ذكر مَن فاز بلقاء الحجّة عليه السّلام أو معجزته في الغَيبة الكبرى) وهو مُلحق في الجزء 53 من كتاب بحار الأنوار.. يقول في الحكاية العاشرة:

(..عن المولى السّلماسي رحمه الله تعالى، قال: كنت حاضراً في محفل إفادته- أي السّيد بحر العلوم-، فسأله رجلٌ عن إمكان رؤية الطّلعة الغرّاء في الغَيبة الكبرى، وكان بيده الآلة المعروفة لشرب الدّخان المسمّى عند العجم بغليان فسكت عن جوابه وطأطأ رأسه، وخاطب نفسه بكلام خفي أسمعه، فقال ما معناه: ما أقول في جوابه؟ وقد ضمّني صلواتُ الله عليه إلى صدره، وورد أيضاً في الخبر تكذيب مدّعي الرّؤية، في أيّام الغيبة فكرّر هذا الكلام، ثمّ قال في جواب السّائل: إنّه قد ورد في أخبار أهل العصمة تكذيب مَن ادّعى رؤية الحجّة عجّل الله تعالى فرجه...) والواضح في كلام السّيد بحر العلوم أنّه فيما بينه وبينَ نفسه يفهم المُشاهدة بمعنى الرّؤية، وكان كذلك مع السّائل.

✤ ما جاء في كتاب (كشف القناع عن حُجيّة الاجماع) للميرزا الاخباري، والّذي عنوانه الحقيقي هو (كشف القناع عن عورة الاجماع) يقول الميرزا الاخباري وهو يناقش علماء المدرسة الأصوليّة في قضيّة الاجماع، وقولهم بأنّ الامام الحجّة داخل في اجماع العلماء، يقول:

(كيف يعقل هذا ؟! وإنّما الإمام عليه السّلام مستتر عن الأبصار والأعيان. وقد رويتم عنه عليه السّلام: مَن ادّعى الرّؤية قبل الصّيحة والسّفياني ؛ فهو كذّاب مفتر). فالّذي يبدو أيضاً أنّ الميرزا الاخباري يفهم المضمون بنفس الفهم أنّ المشاهدة تعني الرّؤية.

✤ في نهاية كتاب (جنّة المأوى) كتب المحدّث النّوري فائدتان مهمّتان.. تعرّض في هاتين الفائدتين إلى مناقشة الكتاب الّذي ورد إلى السّمري.. وهو كلام طويل جدّاً خُلاصته: أنّ المُراد من المشاهدة الرّؤية، وأنّ التكذيب هو لمن يدّعي المشاهدة مع النّيابة. وهو نفس رأيه في كتابه (النّجم الثّاقب: ج2) وهو كتاب باللّغة الفارسيّة.

✤ السّيد مصطفى الكاظمي في كتاب (بشائر الإسلام في علامات ظهور صاحب الزّمان) هو أيضاً يذكر في كتابه نفس ما ذكره الشّيخ المجلسي، والمحدّث النّوري بشأن المشاهدة، وأنّ المراد منها الرّؤية.

✤ في كتاب (مكيال المكارم في فوائد الدّعاء للقائم: ج2) للميرزا محمّد تقي الموسوي الأصفهاني.. هو أيضاً يذكر نفس كلام المجلسي، أنّ المشاهدة تعني الرّؤية. (فكلام المجلسي بقي الّذي قاله على نحو الاحتمال بقي مُصاحباً لنا على طول الخط!)

✤ نموذج لصيغ التّصنيم عند علمائنا في كتاب (العبقري الحسان في أحوال مولانا صاحب الزّمان) للشّيخ علي أكبر النّهاوندي، وهو كتاب باللّغة الفارسية.. لاحظوا الألقاب الّتي وُضعت للمؤلف في مُقدّمة الكتاب وهي تُشير إلى قضيّة التّصنيم والصّنمية عند العلماء. والشّيخ النّهاوندي ناقش مسألة (المشاهدة) في كتابه، وكان يرى في الجزء الثّاني أنّ المشاهدة تعني الحضور والظّهور! وهذا خلط بين المصطلحات.

✤ السّيد الخوئي يرى أيضاً في كتابه (صراط النّجاة في أجوبة الاستفتاءات: ج2) أنّ المشاهدة تعني الرّؤية مع النّيابة، فيقول: (التّكذيب راجع إلى مَن يدّعي النّيابة عنه عليه السّلام نيابةً خاصّة في الغَيبة الكبرى، ولا يكون راجعاً إلى مَن يدّعي الرّؤية بدون دعوى شيء، والله العالم)..وهو نفس كلام المجلسي.. ورأي الميرزا جواد التّبريزي هو نفس رأي السّيد الخوئي.

✤ السّيد محمّد الصّدر في كتابه (موسوعة الإمام المهدي: ج1) يعطي احتمالات لنوع المشاهدة، ويقول بتكذيب مُدّعي السّفارة، ولكنّه يشير إلى نقطة مهمّة وهي: أنّ ادّعاء السّفارة ليس هو (المشاهدة)، لأنّ ادّعاء السّفارة تمّ إبطالهُ في بداية التّوقيع. ويقول أنّ هذا التّوقيع لا يتعارض مع كون الشّيعة يلتقون بالإمام ويُشاهدونه، وأنّ التّكذيب يكون لِمَن يدّعي أنّه يلتقي الإمام ويراه، ولكنّه ينقل عن الإمام الأكاذيب. (بالنّتيجة المُشاهدة عنده تعني الرّؤية بغضّ النّظر عن التّفاصيل الّتي ذكرها).

✤ المراجع الأحياء في النّجف وقم يقولون أنّ المراد من (المشاهدة) هو الرّؤية مع ادّعاء النّيابة.

✤ عرض مجموعة فيديوات للسّيد كمال الحيدري تُبيّن أيضاً أنّه يرى أنّ معنى (المشاهدة) هو الرّؤية.

✤ عرض مجموعة من الفيديوات فيها ردود من شخصيات علميّة في الوسط الشّيعي ردّت على السّيد كمال الحيدري، وأنّهم أيضاً يتحدّثون عن معنى (المشاهدة) بنفس المعنى الّذي ذكره المجلسي على نحو الاحتمال -وهو تعبير ركيك- ولكنّ الصّنميّة اقتضت أن يتمسّك به العلماء، وهؤلاء الشّخصيات ينتمون إلى مرجعيات مُختلفة كلّها تتبنّى نفس المعنى أنّ المراد من (المشاهدة) هي الرّؤية مع ادّعاء النّيابة.